ولا ان يُرى بين المصلين ساجداً ومذهبه الاضرار دأب الذئب الرغد
ولكنما التقوى فؤاد مطهر سليم من الآفات اشهى من الرند
به قد رمى سرح الوئام وبددت كتائبه سرح الشقاق عن الورد
فان رمت ان تحيى برغد من المنى بدنياك والاخرى مطيراً من الرفد
فجد لخير واجهد النفس حقبة من الدهر تبلغ منتهى شعف الحمد

بيروت مصطفى سليم الغلاييني

اليونان

معربة من كتاب تاريخ الحضارة

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد — ارض يونان من الاقاليم الضيقة المضطرب (هي ٥٧٠٠٠ كيلومتر مربع) لا تكاد مساحتها تزيد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الاهوية وما يتخللها من الجبال وبتقسمها من الخلجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في اخلاق ساكنيه . وتقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً مثله ويقوم الصخر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورنت ينخفض وترتفع مقاطعة المورة في اجانب الآخر من الترعة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنه حصن احاطت به سلاسل عالية وعرة مثلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الجزر على طول الشاطئ وما هي الا جبال مغمورة يمر رأسها فوق الماء . وتقل في هذه الارض ذات الوهاد والنجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صخور جرداء مرداء اما الانهار فتشبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبتة بين مجراها ونصفه جاف وبين صخور الجبال الجرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض غابات واشجار سرو وغار ونخيل وكروم غرست في مواضع من التلال ولكن قلما انتت بغلات جيدة او بمراعي خصيبة . فبلاد هذا شأن طبيعتها ينشأ ابناؤها متوقة قدودهم قوية اجسادهم قانعة نفوسهم .

البحر — تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرتغال وشواطئها تكاد تقرب من شواطئ اسبانيا بكثرتها ينساب فيها البحر من عدة خلجان ووقائع (١) وتخاريم . ومن العادة ان يحيط باليم صخور لتقدم او جزر لتقارب يتألف منها مرفأ طبيعي . وهذا

(١) في القاموس الوقيعة نقرة في جبل او سهل يستنقع فيها الماء جمعه وقاع ووقائع .

البحر اشبه ببحيرة لامدّ فيها ولا جزر ولذلك سلمت شواطئه من الضرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كثيباً وهو في العادة هادي، صاف ولونه كالبنفسج كما يقول هوميروس ولا أكثر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفراً قصيراً . ولقد تهب ريح الشمال صبيحة كل يوم فتسير بها قوارب مدينة آثينة نحو آسيا وتقذفها ريح الجنوب في المساء الى المرفاء والجزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكمين واذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة وهي بمقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سكون بحرهم باعث على ركوبه واجتيازه فاصبح اليونان من ثم بحارة وتجاراً وسياحاً ولصوص بحر ومنتشرين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر و بلاد الكلدان وآسيا واختراعاتها .

هواؤها — لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آثينة لا يحدث الاّ في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات منذ شهر مايو « ايار » الى اواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يُرى على بضعة فراسخ في القلعة المطلة على آثينة ريش تتثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصية مستورة بالضباب كما هو الحال عندنا معاشر الفرنسيس بل انها تُحل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد بجمالها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء يبسم حوالية فمن نزهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراصير ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب بالشباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستصحاب الراح وشربه على النغمات والاغاني وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاذ اليونان وما هي الا ملاذ جيل من الناس فقير مقتصد فتيّ لا يعرف الهرم ابداً .

بساطة العيشة اليونانية — لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يشقى ببردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقتضيه البلاد غذاء غزيراً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة . فقد كان اليوناني يتبلغ بحفنة من الزيتون وسمك السردين ويلبس نعلاً وقميصاً ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكشوف الرأس وداره بناية منيعة ليست من المتانة بحيث يدفع اللصوص عن دخولها بثقب حائطها ولا له من الاثاث غير فراش وبعض لحف وبضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران خالية من الزينة مبيضة بالجير « الكلس » ولا يأوي الى الدار الاّ آونة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان — كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الضيقة النطاق من

الجنس الآري انسباء الهنود والفرس جاؤا مثلهم من جبال آسيا . ونحن نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراصير . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للشك في اصلهم . وكان اليونان الأول كسائر الآريين يقتاتون باللبن ولحوم القطعان و يسيرون مدججين باسلحتهم وهم ابداً على قدم القتال ينضمون قبائل وفصائل تحت إمرة بطاركتهم .

اساطيرهم — جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم علم بمنشإ اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا بشيء من اخبارهم واعمالهم فيها . وان حفظ ذكر الحادثات الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكتابة . غير ان اليونان لم يعرفوها الاَّ حوالى القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين ثم اتخذوا بعدُ طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في اولمبيا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة الفترة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذاك الحين ولم يتصل بما وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدونهم كأنهم نصف ارباب وهذه الاقاصيص مشوبة بحكايات يتعذر الالمام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آثينة ان الملك الاول المدعو سكروبس كان نصفه ملكا ونصفه حية وذكروا في ثيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فينيقية للبحث عن اخت اوروبا التي خطفها ثور وكان قبل ذينك وزرع اضراسه فنبتت منها مقاتلة ومنهم تناسلت الامرات الشريفة في ثيبة وزعموا في مدينة ارغوس ان اصل الاسرة المالكة من بيلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتفاً من العاج للاستعاضة عن كتفه التي اكلتها احدى الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلونها و يتناقلونها وظل ابناء يونان يذكرونها الى ما بعد ويثبتون لابطالهم القدماء نصيباً من روح الربوبية مثل ابطالهم برسي وبيليروفون وهيراكليس وتيزي ومينوس وكاستورس وبولوكس وميليا كرس وادينس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المثوّرة منهم اتخذوا هذه التقاليد حقائق لا تزاع فيها الاَّ قليلاً . تلقوها على نحو ما تؤخذ الحادثات التاريخية اخبار الحرب بين ابني اديبس ملك ثيبة وحملة الارغونوت التي سافرت في طلب جزة الكبش التي قام بحراثتها ثوران لما ارجل من فلز تقذف النار من افواهها .

حرب طروادة — اشهر هذه الاقاصيص كلها حروب طروادة وهي اوسعها بيانا وتفصيلا فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة غنية ذات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة

الحكمة على شاطئ القارة الآسياوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه باريس الى ارض يونان وسبى هيلانة حليلة منيلاس ملك اسبارطة فاتفق اغاممنون ملك ارغوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لحصار طروادة جيشاً يونانياً على اسطول مؤلف من الف ومائتي سفينة فدام الحصار عشر سنين اذ كان الرب زيوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر بالويتهم. ولقد اشترك مقاتلة اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقة واشجعهم نفساً وجرّ جثته حول المدينة. فاتل اشيل بسلاح الهي وهبته اياه امه ربة البحر ثم هلك بسهم اصابه في عقبه. حتى اذا يئس اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوة عمدوا الى الحيلة فاوهموا انهم ازمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصاناً ضخم الجثة من خشب اختبأ فيه زعماء الجيش فاخذ الطرواديون هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القوّاد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان فحرقت طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء.

ولما قفل زعماء اليونان من غزاتهم هبت عليهم العاصفة فتمزق بعضهم في البحر وقذفت الانواء بفريق منهم الى شواطئ بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الزعماء جرية ودهاء واطولهم يداً في كيد المكايد ان قضى عشر سنين تتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جميعاً ونجا من الغرق برأسه.

وبعد فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعاً في القرون القديمة شيوع الاخبار الثابتة. فزعم القوم ان غاية الحصار كانت سنة ١١٨٤ وحددوا مركز تلك المدينة. وقد خطر للسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فاقتضى له ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فعثر على عمق خمسة عشر متراً في اعمق طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استحالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الابنية بصندوق مُلِيء بالحليّ من ذهب سماه كنز بريام. وكان ثمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل ربة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمثلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس ثمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً.

ميسينيا — ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اغاممنون الذي كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودفن بالقرب من قصره. ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت

مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الضخمة مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وتخنها خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلوبية اعتقاداً منهم بان الجبابرة سيكلون قد اقاموا بنيانها ورفعوا قواعدها . ويدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة عزم ان يبحث عن قبر اغاممنون في ميسينا وكان الحفر قد جرى فيها غير بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب حتى وصل الى الصخر فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الحلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعمائة سفيقة « ورقة ذهب » وزهاء مائتي سيف وخنجر مع نصال مموهة بالذهب والفضة . وكان على وجوه بعض الجثث برقع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا .

ومنذ ذاك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني خزفية وحلي تشبه خزف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنتجوا من ذلك بانهُ كان في يونان منذ الزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والخامس عشر ق . م) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات غنى متوسط وتيسر لهم به ان يكنزوا الكنوز ويستصنعوا الآثار النفيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني .

اشعار هوميروس — ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الالياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوذيسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة . هاتان القصيدتان هما اللتان اذاعتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة . وقد حفظتا قروناً دون ان يكتبا فكان المغنون الذين ألفوا الترحل يستظهرون ابياتاً طويلة منها وينشدونها في الاعياد . وفي القرن السادس امر احد امراء آثينة واسمه بيزيستراث ان تجمع القصيدتان وتكتبا فاصبحتا بعد وما زالتا ابداً اجل الآداب اليونانية العجيبة المطربة . يقول اليونان ان مؤلفهما هوميروس كان احد ابناء يونان من مدينة ايونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمثلونه على صفة شيخ ضرير فقير يهبط ارضاً ويصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف نسبته اليها تدعي كل منها انها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً بدون مناقشة فيه . وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف وابان بعض نقض في هاتين القصيدتين اداه ان

يجزم بانهما ليسنا من نظم شاعر واحد ولكنهما كتاب مؤلف من مقاطيع لشعراء مختلفين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم بين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او عدمه وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاتيه القصائد قديمة العهد جداً وربما كانت من القرن التاسع . الفت الالياذة في آسيا الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احداهما بحروب طروادة وثانيتهما بحوادث اشيل اما الاوذيسة فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمت من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نوغل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة . واشعار هوميروس اقدم مستند بشأنهم . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس باسم قبائلهم الاصلية ويظهر انهم كما وصفهم قد نجحوا منذ غادروا آسيا فعرفوا حرث الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوباً صغيرة . واطاعوا ملوكاً لهم وكان لهم مجلس شيوخ ودار ندوة وقد فاخر اليونان بحكومتهم واحتقروا الشعوب النازلة بقربهم لانهم كانوا دونهم فدعوهم البرابرة . ولقد صرح عولس بخشونة السيكوليس بقوله : (ليس لهم قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكمون نساءهم واولادهم بالذات ولا يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذاك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتجشم اخطاره ويزعمون ان الغول سكن جزيرة صقلية .